

الرسالة

مجلة أسبوعية للفكر والعلم والفن

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ - عابدين - القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

برل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والموذن
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
نحو المدة ٢٠ ملياً

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٦٨ « القاهرة في يوم الاثنين ٣ من شهر جادى الأولى سنة ١٣٦٩ - ٢٠ فبراير سنة ١٩٥٠ - السنة الثامنة عشرة »

على محمود طه

هباته من شعره

للاستاذ أنور المعداوى

— ١٠ —

التجاوب بينهما منكمساً على صفحة الشعور المعبر عنه في كلمات .
وقلت لك مرة ثالثة إن الذين لم يعرفوا هذا الشاعر ولم يطلعوا
على دخائل نفسه وآفاق حياته ، يستطيعون إذا لم يترعوا عن
الألفاظ أثوابها النفسية ، أو يجردوا الأخيلة من ظلالها المعنوية ،
أو يفرقوا بين الصور وبين وشائج اللحم والدم ... يستطيعون إذا
لم يلجأوا إلى شيء من هذا كله أن يعرفوه حق المعرفة من خلال
شعره . لقد كان شعره مرآة صادقة لهذا الوجود الذى أحاط به ،
لأنه كان إنساناً صادقاً في صحبته لتلك المرأة : لم يحاول يوماً أن
يقف أمامها بوجه غير وجهه ، ولم يحاول يوماً أن يلقاها بملامح
لونها الساحيق أو اختفت حقيقتها وراء الأقنعة !

وقلت لك مرة رابعة إنه كان يمثل الوضوح في الفن ، وقيمة
الوضوح في الفن . هو أنه يتيح للدارسين أن يطمئنوا على مواقع
أقلامهم كلما قطعوا مرحلة من مراحل الطريق ... لا غموض في
المقدمات يدعو إلى الشك في النتائج ، ولا ضباب على سطح النظائر
يحول دون الرؤية إذا التمسها الميول !

هذه بعض فقرات مما قلناه من قبل ، وتزيد عليها الآب
وجهاً نظراً أخرى تدور حول مشكلة الغموض والوضوح في
الشخصية الفنية والإنسانية .. إن الرجل الملقى القلب في الحياة
منلقى القلب في الفن ، وإن الرجل المقدر النفس في الحياة منقدر
النفس في الفن ، ولا خلاف في هذه الحقيقة المستخرجة من ألوان
التجارب ولا جدال ! وكل ما يصادفك من غموض وشبه غموض

أشرت في مقدمة هذه الدراسة إلى أن شاعرنا المصرى كان
أشبه بكتاب مفتوح . أستطيع أن أقول لك وأنا مطمئن ، إننى قد
قرأته كله ... شعره على ضوء حياته ، وحياته على ضوء شعره ،
فاحياناً تولفان هذا الكتاب الذى قرأته ، وعشت بين سطوره ،
وخرجت من هذه السطور بأراء مرضتها على الدائرة فاعتزنت ،
وعلى الضمير فأنكر ، وعلى موازين النقد فاختلفت مع أصوله
كما أفهمها ومناهجها .

وقلت لك أيضاً إننى قد درست حياة على طه النفسية ، ودرست
آثاره الفنية .. درستهما على طريقي التى أؤمن بها وأدعو إليها
كلما حاولت أن أكتب عن أصحاب المواهب أو كلما حاولت غيرى
أن يكتب عنهم : مفتاح الشخصية الإنسانية أو مفاتيحها أولاً ،
ومفتاح الشخصية الفنية أو مفاتيحها ثانياً ، والربط بعد ذلك بين
الشخصيتين لتنفذ إلى أصناف الحقيقة في الحياة والفن ، ومدى

لقد كان بودلير في رأى الحق إنساناً غير مفهوم ولا مهضوم ، ومع ذلك فقد حاول سارتر ما وسعته المحاولة أن يفهمه وبهضمه ، وأن يقدمه إلى الناس في صورته الشاذة المعقدة وقد زاب لها أكثر ما فيها من شذوذ وتمقيد ... وهكذا تفعل الدراسة النفسية حين ترفع السجف المدلاة على نوافذ الشخصية المغلقة ليندفع الضوء إلى شتى الجوانب والأركان !

وأي من عناصر الشذوذ في هذه الشخصية البودليرية الغريبة الأطوار ؟ هي في تلك النواحي الإنسانية المتباينة التي لا تكاد تجتمع في منهج واضح محدد بل شعنها أو يؤلف بين ما فيها من شتات . لقد كان بودلير رجلاً يفتش عن الآلام في كل مكان ، ويسمى إليها سمياً متواسلاً ليثور عليها آخر الأمر تلك الثورة المكبوتة العاجزة التي لا تدفع شراً ولا تدرأ خطيئة ... كان مثالياً بينه وبين نفسه ، ولكنها المثالية القاصرة على عالم الذهن وحده لا تكاد تتعداه . هو في « وجوده الذهني » إنسان مترفع عن كل ما يخذش الكرامة ويشين الخلق ويهبط بالسمة إلى حمة الموبقات ، وهو في « وجوده

الواقعي » إنسان غارق في لجج الإنهم ضال في متاهات التي متخبط - في ظلام الوزر والمصيبة . يدعو إلى الشيء ولا ينفذه ، ويرسم الطريق ولا يسير فيه ، ويضع لحياته خط سير هو أول المنحرفين عنه والخارجين عليه ... يحب الوحدة ويتوهم في ظلها راحة نفسه ونعيم دنياه ، ولكن يظفر بها فلا بأس من أن يفسر منه الناس وأن ينفذهم فيه ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بأن يرسم شخصه بأفبح ألهم ، ويصنع خلقه بأشنع السموت ، ولا ضير من أن يشيع عن نفسه أنه قتل أباه وأنحدر من الشذوذ الجنسي إلى أدنا يؤره وأحط مهاويه . هذا كله ليحقق لنفسه تلك الوحدة المنشودة التي يخلو فيها إلى هواجه بعيداً عن دنيا الناس ...

ومع ذلك فما أكثر ما يضيق بهذه الوحدة ويقزع عن أشباحها الرهيبة ويفر من ظلها الخائفة ! وهو ، ذلك الخلق الذي يسمو « بأفكاره » إلى مدارج الملاقة الجنسية النظيفة ، تراه يهبط « بأفعاله » إلى أقذر ما يمكن أن تلحقه هذه الملاقة بإنسان ... تراه يتصل بإحدى الماهرات ذلك الاتصال الشائن الذي يخرج منه بأخبث الأمراض وأدج الملل ، ثم لا يحاول أن يقصد إلى طبيب ليلتمس لجسمه المهك أي وسيلة من وسائل البرء الذي

وانحرف عن كل ما هو مألف ومعروف هنا ، يمكنك أن تزد به إلى صورة المائلة وأحواله المشابهة ولحظاته المطابقة هناك : شخصية فنية مبهمة ومضطربة وغير مفهومة في هذا الجانب ، تقابلها شخصية إنسانية تصطبغ بكل هذه الصفات وتتصف بكل هذه الصفات في الجانب الآخر . وهما حاول الفنان أن يظهر أمام الناس بوجه أرجواني غير وجهه الأصفر ، أو بقلب إنساني غير قلبه المغفر ، فلن يستطيع أن يمدح بعض الميول المستشفة لما وراء الطلاء من حماى ، ولا بعض الأذان الراسدة لما بين الجوانح من خفقات . وهذه هي اللحظة الحاسمة في حياة كاتب التراجم كلما حاول أن يدرس واحداً من أصحاب الفن ، سالكاً كل الطرق التي يمكن أن تدفع به إلى الهدف المرجو وتقذف به نحو الغاية المنشودة . وليس كل هدف يسير البلوغ وليست كل غاية قريبة النال ، وما دام الأمر كذلك فلا مناص من استخدام علم النفس الأدبي وتبسيط أضوائه على كل فجوة تتمرد فيها الرؤية حين يكتنفها الغموض ويلفها الظلام !

استخدام علم النفس الأدبي من أزم الأمور في كل دراسة تريد أن تأمن الزلل في التأويل وأن تتقي الخطأ في التعليل ، وأن تتجنب كل منحدر في طريق التشخيص والتشريح وإصدار الآراء والأحكام . ومع ذلك فهناك شخصيات مهوشة السمات ، مغموسة الحدود معقدة الطباع ، تزهق الدارسين حين يضمونها تحت مجهر التحليل النفسي وتكافهم من الجهد والصبر والمثابرة فوق ما تحمل طاقة الأحياء . وفي الكفة المقابلة شخصيات أخرى واضحة سهلة التناول مسبوورة الفؤر مكشوفة الأعماق ، ينفذ إليها الدارسون حين يضمونها تحت المجهر نفسه دون أن يصيبهم عنت أو إرهاق .

من هذه الشخصيات الأخيرة شخصية هذا الشاعر المصري على محمود طه ، ومن تلك الشخصيات الأولى شخصية ذلك الشاعر الفرنسي شارل بودلير . ومن الذي تناول بودلير بالدراسة النفسية فأجهد وأرهقه وأصابه بما يشبه الدوار ؟ إنه الكاتب والفيلسوف الفرنسي جاك بول سارتر ... وعلى الرغم من أن سارتر قد وصل من وراء دراسته لبودلير إلى ما لم يصل إليه في رأينا كاتب تراجم من قبل ، فقد خرج من هذه الدراسة وهو مكدود الأنفاس يخيل إليك أن جبينه قد تصبب بقطرات من العرق !

الألم والمذاب ، وكان يحلوه أن يتأوه كلما أحس في نفسه حاجة إلى الثورة . كان يبنى أن يضطهد نفسه ليكون اضطهاده لنفسه عقاباً لها ، عقاباً على مجزئه وضياعه وما اقترف في حقها من أخطاء وآثام . أكان ذلك من جانبه لو أن من العقاب الذاتي الناتج عن تفلنل الزعة الدينية المسيحية بين جوانحه كما ذهب إلى ذلك بعض النقاد ؟ إن سارتر يبنذ هذا التفسير التهافت الذي لا يستطيع أن يقف على قدميه ، لأن هناك أدباء أشربت نفوسهم تلك الزعة الدينية منذ المولد وخلال النشأة والتربية ثم ساروا وحاكمين الزمن في نفس الطريق الشاذ الذي سار فيه ، ومع ذلك فما أبعد الشقة بينهم وبين بودلير لقاء الحياة بمثل ماقيها به من عقاب للنفس واضطهاد للذات !

إن المسألة إذن ليست مسألة تلك الزعة الدينية من قريب ولا من بعيد ، ولكنها مسألة مركب النقص ومركب التعويض ... رجل كان يشعر في أعماقه أنه لا وجود له أو أن وجوده كان أشبه بالدم ، ومن هنا راح يلتمس شتى السبل ليقتنع نفسه أو ليخدعها بأنه موجود . وهذه الخطوط المتناثرة التي كانت تحدد اتجاهاته مصيره في الحياة ، تمود آخر الأمر لتلتقي في نقطة ارتكاز وجودية عمادها الكبرياء ... كبرياء الذات المهزومة !!

وما أشبه جوانب الشخصية البودليرية بعدد من الغرف النفسية التي تفتحها كلها بمفتاح واحد : غرفة للألم ، وتلك هذه إلى غرفة أخرى للعذاب ، وتلك هذه إلى غرفة ثالثة للعقاب ، وتلك هذه إلى غرفة رابعة للسخط والثورة ، وتلك هذه إلى غرفة خامسة للكبرياء ... أعني أنه رجل يريد أن يجد نفسه لأنه نائه مضطرب ، وهذا هو الطريق : بحث عن ألوان الشفوذ حتى اكتظت بها حياته ، وحين تحقق له ما يبتغيه بدأ يتمذب ، ثم طاب له أن يتخذ من هذه المرحلة ممبراً إلى العقاب الذاتي الذي يتيح له أن يتبرم ويشور ، وفي هذا تحقيق لكبريائه ، وجوهه تلك الكبرياء الموهومة آمة حانقة على المجتمع ساخطة على الوجود ... لتشره بينه وبين نفسه بأنه موجود !!

هذه هي خلاصة رأي سارتر في شارل بودلير ... ومنها يتضح لك أن الكاتب الفرنسي قد أجهد نفسه كل الجهد ليصل إلى أبعد أغوار هذه الشخصية الثقيلة المذبة ، بمد أن طاف بنظرة

يقب الملاج ! وهو ، ذلك الرجل الماجز من تعريف أموره ، المشلول الحركة في معركة الحياة ، يسي عن طيب خاطر إلى إيجاد من يشرف عليه ويرعاه ، حتى إذا وجد « مجلس العائلة » أو مجلس الوصاية ليشرف على هذا الرجل الذي يفر من المسؤوليات الضخام وغير الضخام ، تراه يشود على هؤلاء « الجلادين » الطغاة الذين يذيقونه الذل ويسومونه خسف العذاب ! وهو ، ذلك الثقات . اللامع الذي كان يتطلع إلى أن يظفر بمكانه بين الخالدين من أعضاء الأكاديمية الفرنسية ، تراه يمبر كل درب يمكن أن يباعد بينه وبين المكان الخالد . وأعجب العجب أنه كان ينشد من كل قلبه مثل هذا الإخفاق ! وهو ، ذلك الشاعر الجهمير يخرج للناس يوماً ديواناً من الشعر يطلق عليه « أزهار الشر » ليقف بسببه في ساحة القضاء . ترى أكان يهدف من وراء هذا الشعر إلى مؤازرة الذين ينادون بمذهب « الفن للفن » ، أم كانت يهدف إلى شيء آخر تتردد أسداؤه بين جنبه وترسب في قرار سحيق ؟ أغلب الظن أنه كان يحب أن يكون متبوءاً من الناس بتلاحقه اللعنة في كل عمل من أعماله الأدبية والإنسانية ... وإلا لما تمعد أن يطالع الناس بهذا الشعر الذي عرشه للادانة من جانب القضاء الفرنسي ، وهي إداة مادية ومعنوية !

هو إذن في رأي سارتر رجل مضيق عاجز سبهم يحرك يديه في شتى الاتجاهات ليشير من حوله الزوايح والأعاصير ، حتى إذا هبت عليه من كل ناحية وعصفت بكياه وأودت بوجوده وقف حيالها مكتوف اليدين ... رجل عاش ولكنه لم يستطيع أن يفسر لنا هذه الحياة التي عاشها ولا أن يكيّف لنا هذا الوجود الذي خلق فيه رجل كون مزاجه بنفسه واختار مصيره برضاه ، وخانتته القدرة على أن يخرج من أخطائه وآثامه بمذهب يحدد ذاتيته في زحمة الوجود أو يبرر مكانه في غمار الحياة . هذه الشخصية المعجبية الغريبة المتقلبة تحتاج إلى مفتاح يسلج أبوابها المخلقة على فنون من الطلام والأسرار ... وها هو سارتر يحاول أن يقدم إلينا هذا المفتاح .

بودلير الذي كان يفتش عن الآلام كان يريد أن يتمذب ، والدليل على ذلك مستخلص بوضوح من أخباره وآثاره ، من أخباره الخاصة وآثاره الفنية ... كان يسي إلى صهر ووجه في بوتقة

فبروحى أعيىش فى عالم الفن طليقا والطهر بملأ حسى
تأبها فى بحاره لست أدرى لم أزجى الشراع أو فم أرمى
لى قلب كزهره الحقل بيضاء عنها السماء من كل قبس
هو فيثارت عليها أغنى وعليها وحدى أغنى لنفسى
لى إليها فى خلوتى همسات أنطقها بكل رائع جرس

كم شفاء بين من قبلاتى وهج النار فى عواصف خرس
ووساد جرت به عبراتى ضحك بوى منه وإطراق أمسى
أبهذى الحذور أنوارك الحراء كم أشعلت إياى أنسى
أحرقتهن آه لم يبق منهن سوى ذلك الرماد برأسى

هذا شعر صادق كل الصدق ، وأصدق ذلك الوساد الذى
جرت به العبرات ... ولا بد لك من أن تنف معنا طويلا عند
هذا البيت من هذه القصيدة الاعترافية ، لأن فيه مقتضا رئيسيا
يفصل بين قترتين من حياة الشاعر : فترة تحفل بالدموع وفترة
تمتج بالبسمات ، الأولى فترة الأسى أو ما قبل الثلاثين ، والثانية
فترة اليوم أو ما بعد الثلاثين ... وها هو ذا يتعرف بأن يومه
يضحك لمنظر المبرات فى حيث يأبى لها الأسى ذلك الأسى
المبر عنه بالإطراق وفى الفصل المقبل نحدثك عن هاتين القترتين
من حياته ، وأثرهما فى خلق مزاجين متباينين كل التباين فى نطاق
الشخصية الفنية والإنسانية .
(يتبع)

أنور المعداوى

من الأدب الفرنسى

قصائد وأقاصيص

المؤلف: أستاذ محمد محمد الزيات

مجموعة من أروع القصص القصيرة وأبلغ القصائد المختارة
لصنوة من نوابغ كتاب فرنسا وشعرائها .

ومثمه ٢٥ قرشا هذا أجره البريد

الثاقب بين ما خلف صاحبها من أوراق ورسائل ، وما ترك من
أخبار ونوادر ، وما نشر من آثار فى الشعر والنثر ، وبعد أن
راح يجمع بين أطرافها المتناثرة ويوفق بين أحوالها المتناقضة ...
تلك الشخصية التى لا تكاد ترضى حتى تدخط ، ولا تكاد تحب
حتى تكبره ، ولا تكاد تقبل حتى تدبره ، ولا تكاد تنور حتى تدعن ،
ثم تتخيل بعد هذا كله أن فى الاستملاء شيئا من العزاء ! ومن
هذه الخلاصة يتضح لك أيضا أثر الدراسة الفنية فى تناول
الشخصية الفنية ، ذلك التناول الذى يمرضها لك عارية من كل
ثوب من أثواب الغموض والابهام ! ... ونحن حين نقدم إليك
هذا النموذج النادر من نماذج أدب التراجم ، فإنما تقدمه لنتشهد
به على أن التعقيد بقدر ما يطبع صاحبه بطابعه ويمه بميمه فإن
الوضوح من شأنه أن يقوم بمثل هذا الدور فى مثل هذا المجال !

ولقد كان الوضوح كما قلنا لك لازمة من لوازم شاعرنا المصرى
فى كل فترة من فترات حياته وكل وجهة من وجهات فنه ، ولك
أن تقدمه أول مفتاح يهيئ لنا أن نضع أيدينا على منافذ شخصيته
الأدبية والإنسانية ، دون أن نلجأ إلى الفروض التى تضع الشيء
موضع الاحتمال فى أن يكون حقيقة من الحقائق أولا يكون ...
ولقد كان على طه واحدا من هؤلاء الذين يفتحون القلب على
مصراعيه أمام الخلق من الأصدقاء ، حتى ليخيل إلى من يعرفه
منذ شهور أنه يعرفه منذ أعوام وأعوام . كان واضحا فى فرجه
كما كان واضحا فى حزنه ، وكان واضحا فى سره
كما كان واضحا فى جهره ، حتى لو أنه حاول أن يصمت لكان
صمته فنا من الكلام ، أو حاول أن يكتم لكان كتمان ضريا
من البوح والإفشاء ! ومن هنا كانت حياته على لسانه
سلسلة من الأحاديث وكانت فى شعره سلسلة من
الاعترافات ... واستمع إلى هذا « الاعتراف » فى موضعه من
الصفحة الثالثة والثلاثين من « شرق وغرب » ، وهو حديث
ينبع من قلب أبيض كزهره الحقل البيضاء :

إن أكن قد شربت نخب كثيرات وآرعت بالدامة كأمى
وتولمت بالحسان لأنى مغرم بالجمال من كل جنس
وتوحدت فى المسوى ثم أشركت على حالى رجاء وبأس
وتبذلت فى غرامى فلم أحبس على لذة شياطين رجسى